

المؤتمر الدولي

التعليم الديني في تركيا وتطلعات الأمة

-دراسة واقع التعليم الديني في كل من فلسطين والجزائر-

بتاريخ 12-13 / 2017/05 بقونيا تركيا

عنوان المداخلة

التعليم الشرعي في الجزائر واقعه وتطلعاته

الأستاذ الدكتور: يوسف عبد اللاوي

أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الوادي -الجزائر-

مقدمة

المجتمع الجزائري مجتمع إسلامي انطلاقاً من واقع حاله ، أو من مواثيقه التي تنص صراحة على أن الجزائر أرض الإسلام¹ ، وأن الإسلام هو دين الدولة² .

والمعروف أن النظام التعليمي جزء من البناء الاجتماعي ، يتفاعل معه متأثراً به ومؤثراً فيه ، ويدور حول الأهداف المشتركة للمجتمع³ ، ولذا فإن المناهج التربوية لا تقوم في فراغ ، وإنما تتشكل وتتماثل مع الثقافة التي تعيش فيها ، والنظم الاجتماعية والدينية والسياسية التي تسود المجتمع .

فلمدرسة مؤسسة اجتماعية تعكس الثقافة وتنقلها إلى المتعلمين ، بوصفها نظاماً اجتماعياً مصغراً ، يتعلم فيه الأطفال القواعد الأخلاقية ، والعادات الاجتماعية ، وطرق بناء العلاقات مع الآخرين⁴ ، كما تلعب دوراً أساسياً في إعداد الفرد ، وتعزيز هويته ، وربطه بمجتمعه وثقافته ، ومن ثم فهي تعمل على تشكيل الجماعة ، وترسيخ قيمها ، وتحديد اتجاهاتها بكونها أحد أهم القنوات لإيصال القيم عبر الأجيال وتعزيزها .

ولذلك فإن أي سعي للنهوض بالمجتمع ، لا بد أن يمر عبر إصلاح عميق في ميدان التربية والتعليم⁵ ، بل إن الإمام عبد الحميد بن باديس يرهن صلاح المسلمين وصلاح علمائهم بصلاح التعليم ، فيقول : "لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءؤهم ، فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله..."

ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم ، فالتعليم هو الذي يصبغ المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره⁶ .

وقد عملت الوثائق الرسمية الصادرة عن وزارة التربية الوطنية ، على إبراز الإسلام كدين ينبغي ترسيخ قيمه ومبادئه في أذهان الناشئة من المتعلمين ففي مشروع القانون التوجيهي للتربية الوطنية ، والذي ركز فيه السيد وزير التربية على ترقية الإسلام كدين وثقافة وحضارة ، ودعا إلى تعزيز دوره في وحدة الشعب الجزائري ، وإبراز محتواه الروحي والأخلاقي ، وإسهامه الحضاري والإنساني ، وقد جاء فيه : "لقد شكل الإسلام بالنسبة إلى كل الشعوب التي اعتنقته ثورة اجتماعية حقيقية بأهداف محددة ومسطرة بوضوح ، فخصائص الأمة الجزائرية صقلها الإسلام الذي أعطى للشعب الجزائري البعد الأساسي لهويته"⁷ .

وقد جاء فيها أيضاً : "لقد استوعب الشعب الجزائري الإسلام كدين بنظامه المشتغل على القيم الأخلاقية والروحية ، وكنموذج للتنظيم الاجتماعي الذي يهدف إلى إقامة مجتمع متضامن يبجل قيم العدالة والحرية والمساواة والتسامح"⁸ .

غير أنه ينبغي التنبيه إلى أن ما ورد في هذا الإطار ، أي فيما يخص الحديث عن الإسلام ، ومدى ترسيخ مفاهيمه ، لا يتجاوز في نظر المسؤولين عن التربية - وخاصة في برامج الإصلاح - مادة

التربية الإسلامية أو العلوم الإسلامية ، والتي حملت هذه المسؤولية وحدها ، دون مشاركة بقية المواد الأخرى ، وهذا ما تناوله عرض البيان التوجيهي ، فبعد أن تحدث عن أن المدرسة الجزائرية مطالبة بترقية القيم ذات العلاقة بالإسلام ، بين أن "التربية الإسلامية تهدف أساسا طوال المسار التربوي إلى الوصول بالتلميذ إلى تدريجها إلى الفهم الصحيح والإنساني للإسلام ولتعاليمه الجوهرية" ⁹ .

كما يقتضي الحديث عن تعليم الدين في المؤسسة التعليمية الجزائرية بداية تحديد الموضوع بحكم تعدد مجالات هذا التعليم. فهناك مجال يجمع المؤسسات التي تستهدف تكوين الأطر الدينية وتخرج المتخصصين في العمل الديني، ونقصد بذلك الجامعات الإسلامية ومعاهد تكوين الأئمة و الزوايا. وهناك مجال آخر للتعليم الديني العام لا يستهدف تكوين متخصصين في المجال المعرفي الديني، بل تكوين الشعور الديني عند المتلمذ وهو التعليم الذي يتوجه للتلاميذ الجزائريين عامة بغاية تكوينهم على الشعور بالهوية الدينية والعقائدية ¹⁰ .

وإن كان هذان المجالان بعد الاستقلال هما المقصودان بالبحث ، إلا أن طبيعة الموضوع تقتضي الحديث أولا عن التعليم الديني ومؤسساته في الجزائر عبر بعض المراحل التاريخية منذ دخول الإسلام للجزائر إلى استقلالها في العصر الحديث .

تمهيد: إطلالة تاريخية على التعليم الديني ومؤسساته قبل العهد العثماني ⁽¹¹⁾

لقد كانت المساجد الأولى بعد الفتح الإسلامي للجزائر والتي بناها المسلمون مراكز علمية هامة، ومعاهد للدرس والتحصيل قبل أن تظهر الجامعات والمدارس، ففيها كان يسمع التلاميذ أساتذتهم في الفقه واللغة والحديث والقراءات، والطب والفلك والمنطق، وغيرها من الدراسات.

دخل عبد الرحمن بن رستم البلاد، وهو فارسي قدم للمغرب في نهاية العهد الأموي، وأسس دولته الرستمية (144 - 296 هـ / 761 - 908 م) والقائمة على المذهب الإباضي، حيث اهتم الرستميون بنقل الثقافة الشرقية إلى شمال إفريقيا، فأحضروا الكتب، واعتنوا بعلوم الدين والأدب، وكان أئمتهم بارعين في العلوم والآداب والسياسة. وكانت اللغة العربية هي لسان الدولة الرستمية، وفي هذا العصر شهدت الجزائر - أو ما كان يسمى بدولة تيهرت حينها ازدهارا ثقافيا واقتصاديا هائلا، كما تطور المجال الفكري بشكل ملفت للنظر، ففي القرن الثاني والثالث للهجرة، ظهر نوابغ من أهل البلاد الجزائرية، جمعوا بين مختلف المجالات الثقافية والعلمية.

ثم ازدهرت الحياة العلمية والأدبية في ظل الحماديين، الذين كونوا دولتهم في المغرب الأوسط (الجزائر حالياً) والتي عرفت نخضة ثقافية هائلة وخاصة في الأدب والشعر والنقد، وأشهر أديب برز في ذلك العصر هو الشاعر الحسن بن رشيق المسيلي (385 هـ - 463 هـ)، أما علماء الفقه والحديث والتفسير فخير من لخص عنهم الأستاذ رابح بونار فقال: "ظهر نشاط دراسات الفقه والحديث والتفسير

وغيرها في المغرب الأوسط بالقرنين الرابع والخامس وأول السادس، بصورة رائعة. وقد كان أغلب الفقهاء يدرسون الفقه والحديث والتفسير، ولا يقتصرون عليه وحده، ونجد من بينهم من سبق إلى شرح صحيح البخاري وموطأ الإمام مالك قبل غيره من الشراح، كأحمد بن ناصر الداودي المتوفى سنة 402 هـ... ونجد آخرين نبغوا في الفقه كيوסף الوردجاني المتوفى سنة 500 هـ.

وفي دولة المرابطين (472 - 539 هـ / 1079 - 1145 م) ظهر فيها العديد من العلماء الذين اشتهروا بالحلقات العلمية في المساجد، وفي منازلهم في بعض الأحيان، أمثال أبو عمران الفاسي الذي يرحل إليه الناس من كل الأقطار، وأيضاً العالم عبد الله بن ياسين، ومن أبرز القادة في تلك الحقبة القائد الرباني يوسف بن تاشفين، الذي تمكن من القضاء على الروافض والوثنيين واليهود المنتشرين في تلك النواحي، وأعاد تلك المناطق إلى مذهب أهل السنة والجماعة، ومن آثاره الخالدة أنه بنى جامعاً في مدينة الجزائر، لا يزال إلى اليوم يعرف بالجامع الكبير، وبعدها بدأت حركات التصوف الإسلامي في الظهور، حيث انتشرت آراء الإمام أبي حامد الغزالي من خلال كتابه الإحياء، الذي لقي معارضة شديدة وأمر علي بن يوسف بن تاشفين بإحرقه عام 503 هـ.

ومن بين أهم الآثار المعمارية التي تركها المرابطون بالجزائر:

المسجد يتلمسان: وكان مقراً لنشر علوم الإسلام، وتربية المسلمين على معاني القرآن، وكانت بنيته المعمارية متأثرة كثيراً بالمعالم الحضارية الأندلسية.

ثم ظهرت دولة الموحدين (539 - 668 هـ / 1146 - 1296 م): على يد محمد بن

تومرت، والتي أدت فيما بعد إلى سقوط دولة المرابطين، حيث ازدهرت الحركة الصوفية بتأثير الزاهد الأندلسي أبو مدين شعيب بن الحسين (حوالي 520 هـ - 590 هـ / 1126 م - 1197 م)، الذي يعد شيخ الصوفية دون منازع، بكل الأقطار المغربية والأندلس في القرن السادس الهجري الموافق للقرن الثاني عشر الميلادي.

ثم قامت دولة بني زيان التي استقرت بالمغرب الأوسط، واتخذت من تلمسان عاصمة لها، والتي استطاعت أن تبقى في حكم المغرب الأوسط لثلاثة قرون، حيث نبغت جماعات من أشهر العلماء والأدباء والكتاب والمفكرين وعلى رأسهم عبد الرحمان الثعالبي مؤلف الجواهر الحسان، والمقري مؤلف نفع الطيب، كما امتازت هذه الدولة ببناء المدارس الفسيحة التي تعتبر من آيات الفن المعماري العربي، وأجريت على طلبتها وشيوخها الأرزاق. ثم احتلت من طرف الإسبان الذين احتلوا مدينتي وهران وبجاية في عام (915 هـ / 1511 م)، وأجلوا سكانها الأصليين، فاضطر العلماء إلى الانسحاب إلى داخل البلاد لإنشاء مؤسسات تعليمية ودينية كالزوايا مثلاً، وزالت الدولة الزيانية من الوجود على يد الفاتحين العثمانيين.

عرف المجتمع الجزائري نهضة فكرية وثقافية هامة في عهد الزيانيين، فقد بنوا خمس مدارس فكانت عبارة عن معاهد عليا للتعليم في العلوم المتعارف عليها في هذه الحقبة التاريخية. وأول مدرسة بناها بتلمسان سنة 707 هـ أبو حمو موسى الأول، وبنى ابنه أبو تاشفين المدرسة التاشفينية قرب الجامع الأعظم، والتي بقيت تؤدي دورها إلى أن هدمها الفرنسيون، ثم بنى المرينيون مدرسة بقرية العباد سنة 748 هـ، وأنشأوا بعد ذلك مدرسة ثانية قرب مسجد أبي عبد الله الشوذي سنة 754 هـ، وبنى المدرسة الخامسة اليعقوبية أبو حمو موسى الثاني سنة 765 هـ، كما ازدهرت العلوم الدينية واللغوية والأدبية في العهد الزياني.

"لقد تركزت حركة الثقافة و التعليم في الجزائر قبل مجيء العثمانيين في مجموعة من الحواضر مثل : تلمسان في الغرب، و بجاية و قسنطينة في الشرق، و أصبحت مراكز للإشعاع الثقافي و العلمي حيث ازدهرت العلوم و أنواع الفنون ما سمح بظهور عائلات و أسر علمية ميزت كل منطقة دون غيرها في مناصب مختلفة : كالقضاء، الإفتاء، الإمامة، التدريس ... مثل : ابن مرزوق و العقباني في تلمسان، و أسر ابن باديس، و ابن قنفذ و الفكون . في قسنطينة و أسرة المشدالي و العبريني في بجاية"¹² .

المحور الأول: التعليم الديني في العهدين العثماني والاستعماري

أولا: التعليم الديني في العهد العثماني

وامتاز العهد العثماني بازدهار الحركة التعليمية والتي ارتبطت بالتعليم الديني أساسا وحين جاء العثمانيون وجدوا حواضر علمية مزدهرة ببجاية وتلمسان وقسنطينة والجزائر وغيرها ، إلا أنه نظرا لظروف سياسية ومخاوف عسكرية نقلت كثير من هذه المراكز من المدن إلى الأرياف .

يقول البوعبدلي: (إن العصر العثماني امتاز في الجزائر بانتقال المراكز الثقافية من المدن إلى القرى، واشتهرت عدة معاهد إذ ذاك في كامل القطر، كمعاهد بني يعلى العجيسي، عبد الرحمان البلولي ... وبني خليل، والمدينة ومعاهد الراشدية ومازونة ...) ¹³ .

ولكن ما يميز هذا العهد هو أن بعض الحكام العثمانيين كانت لهم إسهامات في تشجيع بناء المدارس، وتكريم العلماء وتقريبهم بسبب مساهماتهم المختلفة، ومن بين الذين شجعوا ازدهار التعليم الداوي محمد عثمان باشا (1766م-1791م) وصالح باي قسنطينة (1725-1795) ومحمد الكبير باي (1779-1796) إقليم الغرب، حيث أنشأ صالح باي مدرسة الكتانية، وألحق بالجامع الأخضر مدرسة، وأمر محمد الكبير بتوسيع رقعة التعليم ومنح جوائز للبعض من أهل الفكر ¹⁴ .

وقد شجع العثمانيون انتشار حركة التعليم وتركوا الميدان مفتوحا للأفراد والجماعات يقيمون ما يشاءون من مؤسسات دينية أو تعليمية .

وقد قامت بهذا الدور الزوايا والمساجد، التي كان يتعلم بها أبناء الجزائريين اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم، إلى جانب علوم أخرى كالعلوم الشرعية وقواعد اللغة والنحو والسير والأخبار وغير ذلك. وإلى جانب هاتين المؤسستين، كانت العائلات تقيم المدارس لأبنائها في القرى والدواوير، وتكلف معلمين بتعليمهم وتوفير لهم كل وسائل عيشهم .

وهكذا كان انتشار التعليم خلال العهد العثماني انتشارا طيبا، حتى غطى المدينة والقرية والجبل والصحراء ويعترف الجنرال "فاليزي" عام 1834م بأن وضعية التعليم في الجزائر كانت جيدة قبل التواجد الفرنسي، لأن "كل العرب الجزائريين تقريبا يعرفون القراءة والكتابة، إذ تنتشر المدارس في أغلبية القرى والدواوير .

ومما يؤكد المستوى التعليمي الذي كان سائدا في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، والذي يعود الفضل فيه إلى الزوايا والأفراد، ما صرح به "ديشي -" المسؤول عن التعليم العمومي في الجزائر- في قوله: "كانت المدارس بالجزائر والمدن الداخلية، وحتى في أوساط القبائل كثيرة ومجهزة بشكل جيد، وازخرة بالمخطوطات. ففي مدينة الجزائر هناك مدرسة بكل مسجد، يجري فيها التعليم مجانيا، ويتقاضى أساتذتها أجورهم من واردات المسجد، وكان من بين مدرسيها أساتذة لامعون تنجذب إلي دروسهم عرب القبائل..."

ثانيا: التعليم في الديني في الجزائر قبيل الاحتلال⁽¹⁵⁾

إن التعليم الذي كان منتشرا في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي في عام 1830 هو التعليم العربي الإسلامي الذي يقوم أساسا على الدراسات الدينية واللغوية والأدبية وقليل من الدراسات العلمية . ومعاهده هي الكتابات القرآنية والمساجد والزوايا ،وقد كانت منتشرة في الجزائر انتشارا كبيرا. أما التعليم المهني أو الحرفي فلم تكن له في الغالب معاهد خاصة به وإنما كان يؤخذ عن طريق المباشرة العملية للمهن المختلفة ,حيث كان الصغار يتعلمونها من الكبار ,عن طريق التقليد والمحاكاة والممارسة العملية الطويلة ,مع مهرة الصانع والحرفيين ,حتى يحذقوها ويصبحوا بدورهم ماهرين فيها ومعلمين لغيرهم وهكذا...

ويذكر المؤرخون الذين كتبوا عن التعليم في الجزائر قبل الاحتلال أنه كان منتشرا انتشارا كبيرا في البلاد ,وأن عددا ضخما من المعاهد العلمية المختلفة كان قائما في سائر جهات القطر وأن الجزائر كانت تتوفر على عدد هام من رجال العلم والأدب والفقهاء الذين تجاوزت شهرة بعضهم حدود الجزائر إلى غيرها من الأقطار العربية والإسلامية يقول المؤرخ الفرنسي " موريس بولارد Maurice " Paulard في كتابه " تعليم الأهالي في الجزائر " كان في الجزائر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين مراكز ثقافية باهرة وكان فيها أساتذة متمكنون من علوم الفلسفة والفقه والأدب والنحو والطب والفلك, وكانت المدارس الكثيرة العدد منتشرة في ربوع البلاد والتعليم ديني ومدني.

ويعترف السيد " Eugène Comps " أوجين كومبس في تقرير له إلى مجلس الشيوخ الفرنسي بتاريخ الثاني من فبراير سنة 1894 بانتشار حركة التعليم وازدهارها في الجزائر قبل الاحتلال وتقلصها بعده فيقول:

"مما لا شك فيه أن التعليم في الجزائر خلال عام 1830 كان أكثر انتشارا وأحسن حالا مما

هو

عليه الآن ,الأمر الذي لم يرض السلطات الفرنسية في الجزائر ,فقد كانت هناك أكثر من ألفي مدرسة للتعليم الابتدائي والثانوي والعالي , كان يتولى التدريس فيها نخبة من الأساتذة الأكفاء , كما أن الطلاب كانوا من الشباب الناهض المتعطش للعلم والمعرفة , هذا فضلا عن مئات المساجد التي كانت تعنى بتلقين اللغة العربية لطلابها."

ولقد كانت مدن :الجزائر ,وقسنطينة ,وتلمسان ,وبجاية ,ومازونة مراكز لأكبر المعاهد العلمية والتربوية في الجزائر قبل الاحتلال.

وقد لاحظ الجنرال " General Phialard " فيلارد في عام 1834 أن العرب الجزائريين (

كانوا يتقنون القراءة والكتابة ,وكانت توجد في كل قرية مدرستان ابتدائيتان.

أما عدد المدارس فقد كان يناهز الألفي مدرسة , كما كانت توجد معاهد وجامعات في الجزائر وقسنطينة ومازونة ,وتلمسان ووهران ويظهر أن الجنرال " فيلارد " كان يقصد بالجامعات المساجد الكبرى والزوايا المعروفة التي كانت مشهورة بالعلم والعلماء وكثرة الطلاب والمكتبات حيث كانت تقوم بحركة نشيطة في نشر التعليم في كافة الأوساط الجزائرية.

وقد أدت حركة انتشار التعليم وكثرة معاهده في البلاد إلى هبوط نسبة الأمية بين الجزائريين مما دفع رجال المخابرات العسكرية الفرنسية إلى الاعتراف بأن نسبة العرب الجزائريين الذين كانوا يحسنون القراءة والكتابة في السنوات الأولى للاحتلال تفوق نسبة الذين كانوا يحسنون القراءة والكتابة في جنود الجيش الفرنسي الذي احتل الجزائر ,حيث كانت نسبة الأمية بينهم تبلغ % 45 حيث أن معظم جنوده كانوا من سكان الريف الفرنسي الذين تنتشر الأمية بينهم وبناء على ذلك يمكن القول أن نسبة الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة من الجزائريين في ذلك الوقت كانوا يزيدون عن % 55 من جملة سكان القطر الجزائري.

مراحل التعليم في هذه المرحلة

لم تكن مراحل التعليم حسب المفهوم الحديث متميزة في الجزائر خلال القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر كما هو عليه الحال الآن ,وإنما كانت متداخلة بعضها بعضا وبصفة عامة كانت المرحلتان:

الابتدائية والعالية وهما المرحلتان المتميزتان بعض الشيء ، أما المرحلة الثانوية فقد كانت داخلة في المرحلة العالية.

ويمكن بناء على ذلك تقسيم المراحل التعليمية إلى مرحلتين هما:

1: المرحلة الابتدائية:

وقد كان الأطفال فيها يزاولون تعليمهم في الغالب في الكتاتيب القرآنية وقد كانت منتشرة بكثرة في الجزائر ، كما كانت " الزوايا " تساهم بدورها في نشر التعليم الابتدائي حيث كانت تشمل على نوعين من التعليم.

التعليم الابتدائي.

التعليم الثانوي والعالي.

لذلك فإن الأطفال في المرحلة الابتدائية يتعلمون إما في الكتّاب أو في المدارس القرآنية الملحقة بالمساجد ، وإما في الزوايا حيث كان يوجد منها في القطر الجزائري قبل الاحتلال حوالي 349 زاوية موزعة على مختلف مناطق البلاد.

وقد كان يوجد بمدينة قسنطينة وحدها في عام 1837 وهو العام الذي دخل فيه الاحتلال الفرنسي إليها 79 كتابا ومدرسة قرآنية يتردد عليها حوالي 1350 طفلا وطفلة وكان يوجد بمدينة تلمسان في نفس العام 50 كتابا مع ملاحظة أن عدد سكانها كان يتراوح ما بين 12000 و 15000 نسمة فقط.

2: المرحلة الثانوية والعالية:

أما التعليم في المرحلتين الثانوية والعالية فقد كان يزاول في بعض المدارس التي بناها محبو العلم وأنصاره من الحكام والأعيان وذوي البر والإحسان ، مثل مدرسة " سيدي أيوب " ومدرسة "حسن باشا "في العاصمة ، ومدرسة " سيدي الكتاني " ومدرسة " سيدي الأخضر " بقسنطينة ومدرسة "مازونة "في الغرب الجزائري ذات الشهرة البعيدة الصيت ، ومدارس تلمسان ، وبجاية ، وغيرها من المدارس الأخرى ، كما كانت بعض الزوايا في بلاد ميزاب وجبال جرجرة والجنوب تنهض بالتعليم في هاتين المرحلتين:

أما المساجد التي كانت تقوم بوظيفة التعليم إلى جانب الصلوات الخمس فقد كان عددها كبير جدا ويوجد في مدينة قسنطينة وحدها 35 مسجدا.

وهناك بعض المساجد الكبرى وبعض الزوايا المشهورة قد تخصص في الدراسات العالية نذكر من بينها المساجد والزوايا التالية:

في غرب القطر :الجامع الكبير بتلمسان ، وجامع سيدي العربي ، وزاوية عائلة الأمير عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية المعروف.

في العاصمة ونواحيها : زاوية القليعة , وزاوية مليانة , وزاوية ابن محي الدين , ثم زاوية بني سليمان , والجامع الأعظم . في الشرق الجزائري : جامع سيدي الأخضر بقسنطينة وهو الجامع الذي جعله ابن باديس مركزا لحركته التربوية قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها وزاوية سيدي عقبة رضي الله عنه بالقرب من بسكرة ثم زاوية ابن علي الشريف في جبال جرجرة وبعض مساجد وادي ميزاب بالصحراء . ومن هذا يتضح لنا أن الشعب الجزائري كان شغوفا بالعلم , مقبلا عليه إقبالا كبيرا . وقد كان الجزائريون بصفة عامة يشجعون العلم والثقافة , ويعملون على نشر التعليم في ربوع الوطن , يدلنا على ذلك كثرة الأوقاف الإسلامية التي أوقفوها في مختلف الأزمنة على العلم ومعاهده حتى انه كان " يوجد في مدينة الجزائر وحدها ثمانية آلاف عقار تابع للأوقاف لم يبق منها بعد الاحتلال عقار واحد . " ويلاحظ أن التعليم في المرحلة الثانوية والعالية كان بالجان وتصرف لطلبة وسائل العيش كما تتوفر لهم المساكن والكتب وغيرها من لوازم الدراسة وتقوم إدارة الأوقاف العامة بكافة المصاريف على التعليم وطلابه من ريع الأوقاف التي كانت من الكثرة بحيث تساوي ميزانية دولة متوسطة .

ثالثا: التعليم الديني في الجزائر في المرحلة الاستعمارية⁽¹⁶⁾

التعليم كان يعتمد اعتمادا كليا على الأوقاف في النهوض بمهمته وكانت الأوقاف من الكثرة بحيث يكفي دخلها للإنفاق عليها بسخاء كبير , لذلك عندما وضع رجال الاحتلال أيديهم على الأوقاف الإسلامية وتصرفوا في دخلها في أغراض أخرى غير التعليم والتربية , تقلص ظل التعليم العربي شيئا فشيئا إلى أن اختفى معظمه في نهاية الأمر وخصوصا في المدن الكبرى وبقي محصورا فقط في بعض المساجد والزوايا القائمة في مناطق الجنوب الصحراوية , وزوايا المناطق الجبلية العالية وهي المساجد والزوايا التي رابطت فيها البقية الباقية من رجال الثقافة العربية والإسلامية للتعليم والتربية حتى لا تندثر الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر .

ومهما يكن من أمر فقد ظلت الزوايا إلى عام 1891 هي المراكز الرئيسية التي يمكن للأطفال

الجزائريين أن يتلقوا فيها التعليم العربي الديني .

وقد سجل هذه الملاحظة تقرير لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي , التي حضرت إلى الجزائر في عام 1891 للإطلاع على أحوال الجزائريين , وبعد جولتها في الجزائر كتب أحد أعضائها وهو مستشار الدولة الفرنسي السيد " ليون بيكي " Léon Beki " يقول : " إن التعليم في الجزائر الآن (1891) قائم تحت إشراف الأهالي أنفسهم والزوايا حيث يتعلم فيها التلاميذ القرآن وتفسيره , هي المؤسسة التعليمية الوحيدة في المستعمرة " .

رابعاً: التعليم الديني لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁽¹⁷⁾

تأسست في إطار الحركة الإصلاحية التي برزت بوادها منذ نهاية القرن التاسع عشر، على امتداد الوطن العربي، واتضحت معالمها في بداية القرن العشرين، حيث زار الشيخ محمد عبده الجزائر سنة 1903، وتركت زيارته أثراً كبيراً لدى الناس الذين باشرُوا بفتح مدارس خاصة لتعلم العربية، ثم صدر بعد ذلك قرار سنة 1904 بمنع فتح المدارس واشترط شروطاً قاسية لفتحها منها:

1. لا يزيد التعليم على تحفيظ القرآن.
 2. عدم شرح الآيات التي تتعلق بالجهاد والتضحية وتعرض للظلم والاستعباد.
 3. عدم دراسة للتاريخ العام أو الخاص أو جغرافية الجزائر والبلدان العربية.
 4. عدم تدريس الحساب والهندسة والعلوم والأدب باللغة العربية.
- وهنا برز عدة شيوخ راحوا يتصدون للمخطط الاستعماري وعلى رأسهم الإمام عبد الحميد بن باديس، والطبيب العقبي، ومحمد البشير الإبراهيمي، ومبارك الميلي، ومحمد العيد آل خليفة والعربي التبسي، حيث قامت سلسلة من الاتصالات أدت إلى تأسيس الجمعية سنة 1931 والتي وضعت التعليم على رأس أولوياتها وكذلك محاربة البدع المنتشرة في الزوايا وشرح أسس الدين الحقيقية، وركزت الجمعية عملها على أربع مؤسسات هي المدرسة والمسجد والنادي والصحيفة، حيث بلغ عدد المدارس 185 مدرسة، وقبل ذلك كان الإمام عبد الحميد بن باديس قد بدأ نشاطه التعليمي في مدينة قسنطينة، حيث كان يعلم الصغار والكبار في المساجد.
- كانت أول مدرسة بنيت هي مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، تلتها مدرسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة، فمدرسة تهذيب البنين والبنات بتبسة. كانت هذه المدارس تعلم النحو والصرف والبلاغة، والعروض والفقه والتوحيد، والمنطق والتجويد، وتدريب التلاميذ على الكتابة والخطابة، وتحثهم على المطالعة. وكان مستواها عالياً جداً بحيث يتخرج التلميذ متمكناً من اللغة العربية وعلومها ومن الدين وعلومه.

ثم أنشأ فيما بعد معهد تبسة، وهو معهد ثانوي، وقام الشيخ العربي التبسي بتأجير دارين كبيرين استعملتا كإقامة للطلبة، وكانت الدراسة تتضمن أربع مستويات وتتم في المدرسة والجامع التابع لها، ثم فتح معهد عبد الحميد بن باديس والذي كانت مدة الدروس به تمتد لأربع سنوات، يدرس فيها الطلبة لمدة ست ساعات يومياً، ويلتحق بها الطالب الذي أتم خمس سنوات في المدرسة الابتدائية، وكان هذا المعهد يمول من تبرعات الشعب.

وقد وصف الشيخ البشير الإبراهيمي المدرسة بأنها جنة الدنيا، وكل شعب لا تبني له المدارس تبني له السجون.

المحور الثاني: التعليم الديني في المدرسة الجزائرية بعد الاستقلال إلى وقتنا الحاضر

إذا كانت الجزائر قد ورثت غداة الاستقلال قطاعا تربويا مظلما بسبب سياسة الاستعمار كان لا بد من النهوض به من جديد وشق الطريق نحو النور في ذلك الظلام الحالك، مما استوجب مواجهة الواقع التربوي بتحد كبير خاصة فيما يتعلق بتعليم الدين باعتباره المحور الأهم في تميز المجتمع الجزائري، وتمكّنه بواسطته البقاء في حراك دائم ضد الاستعمار حتى حقق حريته.

ولأجل التجديد والتطوير شهدت المنظومة التربوية منذ الاستقلال جملة من المراجعات النقدية أفضت إلى نشوء إصلاحات تنظيمية وهيكلية ومناهجية متتالية وصولا إلى وثيقة إصلاح التعليم سنة 1974 التي عدلت وظهرت في شكل أمرية 16 أفريل 1976 وهي الأمرية المتعلقة بتنظيم التربية والتعليم والتكوين والتي نصت على إنشاء المدرسة الأساسية وتنظيم التعليم التحضيري وتوحيد التعليم وإجباريته وإعادة هيكلة التعليم الثانوي وظهور فكرة التعليم الثانوي المتخصص⁽¹⁸⁾.

وتعتبر أمرية 76 أبرز المشاريع الإصلاحية الخاصة بالمنظومة التربوية التي جاءت بعيد الاستقلال نظرا للظروف المتعددة التي أحاطت بها، إضافة إلى الأهداف التي تنشأ الوصول إليها ضمن الخيارات التي كانت الدولة الجزائرية آنذاك قد سطرها لنفسها والتي امتد أثرها نحو المنظومة التربوية، فالنشء المراد تكوينه يكون ضمن (نطاق القيم العربية والمبادئ الإسلامية والاشتراكية)⁽¹⁹⁾. كما أن لجنة إصلاح المنظومة التربوية لسنة 2000 وما حققته من أعمال تعتبر ثاني المشاريع الإصلاحية الكبرى، وهي على النقيض من أمرية 76 من حيث التخلي عن المبادئ الاشتراكية والتراجع عن بعض مكاسب عناصر الهوية (اللغة العربية والتربية الإسلامية) لكنها تنحو نحوها في مجال مجانية التعليم و إجباريته وجزأته والاتجاه نحو العلوم والتقنيات....

لقد كانت نهاية نظام ازدواجية التعليم مع أمرية 1976 بداية رؤى جديدة نحو تعليم التربية الإسلامية أو العلوم الإسلامية في المنظومة التربوية، وفي نفس الوقت نرى كيف أن لجنة الإصلاح لسنة 2000 غيرت ما تعلق بمادة العلوم الإسلامية والتربية الإسلامية في إطار نسق تربوي جديد سنتعرف عليه لاحقا عند الحديث عن مكانة العلوم الإسلامية في تلك الإصلاحات.

ولكي نعرف هذه التصورات والرؤى علينا أن نستعرض بصورة موجزة حقيقة ومسار نظام التعليم الأصلي لتتعرف على مكانة العلوم الإسلامية فيها حتى يمكن المقارنة مع المراحل التي تلت إلغاءه حتى مجيء إصلاحات اللجنة الوطنية بعد سنة 2000، فهل كان لهذا الحراك الإصلاحي المتعدد والمتتالي آثار إيجابية أم سلبية فيما يرتبط بوضعية العلوم الإسلامية وتدرسيها؟

مكانة مادة التربية الإسلامية في النظامين الأصلي وما بعده:

لقد شكل نظام التعليم الأصلي غداة الاستقلال اللبنة الأولى نحو توجه رجال من الدولة الجزائرية لتعليم النشء في مختلف المراحل التعليمية ما يتعلق بالإسلام، الذي يعد المكون الحضاري الأبرز

للمجتمع الجزائري، واستمر هذا النظام في العطاء نحو بضعة عشر سنة، يشكل مع النظام التعليمي المدني مركبين تستقلهما المنظومة التعليمية الجزائرية. ولقد كان ذلك نوعاً من ازدواجية باعتبار أن التعليم الأصلي تشرف عليه وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، في حين تشرف وزارة التربية والتعليم على النظام التعليمي المدني.

استمر هذا النموذج في التعليم إلى أن جاءت الإصلاحات التربوية سنة 1976 والتي أنهت ازدواجية التعليم، حيث ألغي نظام التعليم الأصلي وأدمجت مؤسساته في الهيكلة الجديدة للنظام التربوي الجديد وفق ما رسمته أمية 1976 التي مهدت لما اصطلح عليه بالمدرسة الأساسية. يمكن القول في هذه العجالة إلى أن نظام التعليم الأصلي عبارة عن صورة مستنسخة من نظام التعليم في الأزهر الشريف مع بعض الفروقات والخصوصيات، ومن جانب آخر هو استمرار في الحقيقة لمجهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مجال التربية والتعليم أثناء الفترة الاستعمارية التي كانت تقوم على تعليم النشء الدين الإسلامي إلى جانب اللغة العربية والتاريخ... وقد لا نكون مجافين للحقيقة إن قيل بأن التعليم الأصلي ابن الجمعية، لأن المؤسس الفعلي له هو أحد أبرز أقطاب الجمعية ألا وهو الشيخ عمر دردور⁽²⁰⁾ - رحمه الله تعالى - وذلك عندما بادر سنة 1963 إلى تأسيس ما يعرف بالمعهد التكميلي بباتنة والذي يعد النواة الأولى لنظام التعليم الأصلي بالجزائر، وكان ينتهي عند شهادة الأهلية. وفي سنة 1970 لما جاء الأستاذ مولود قاسم كوزير للشؤون الدينية والأوقاف أضاف للمرحلة التكميلية المرحلة الثانوية حيث يمكن الطلبة المنتسبين له اجتياز امتحان البكالوريا وتحصيلها للالتحاق بالجامعة كبقية الطلبة المتمدرسين وفق النظام المدني.

وإذا عدنا إلى الوثائق التي تحدد مناهج التعليم الأصلي⁽²¹⁾ نجد أن هناك أكثر من سبعة مواد كلها مرتبطة بالإسلام يدرسها الطلبة في المعاهد المتوسطة التكميلية والثانوية، منها التفسير والحديث والتوحيد والفقه والتجويد والميراث والأصول... وبحجم ساعي يتراوح ما بين أربع إلى ست ساعات، وإلى جانب المواد الشرعية يدرس الطلبة علوم العربية وسائر المواد العلمية الأخرى.

والذي نتج عن هذا النظام ومناهجه ومقرراته الدراسية تكوين فئات طلابية واسعة من أبناء الجزائر متشعبة إلى حد بعيد بالثقافة الإسلامية الرشيدة والأصيلة ومزودة بالمعارف العلمية المختلفة المؤهلة لخوض مجال التعليم العالي. ولقد كان طلاب المعاهد الإسلامية متفوقين جداً في نسبة تحصيل شهادة البكالوريا بالمقارنة مع نسبة تحصيلها في نظام التعليم العادي، وربما كان هذا سبباً في التعجيل بإلغائه ووضع حد له.

وإذا تأملنا النظام التعليمي المدني الذي كان تحت إشراف وزارة التربية الوطنية نجد أن التربية الإسلامية في التعليم الثانوي خصصت لها ساعة واحدة في السنتين الأولى والثانية، وذلك عقب

استحداث الإصلاحات المرتبة بأمرية 76. واستمر الأمر على هذه الحال إلى غاية الثمانينات حيث لم يكن لها أثر في القسم النهائي .

والملاحظة التي يمكن للجميع إبدائها هو أن ثراء مناهج التعليم الأصلي بالعلوم الإسلامية من حيث المقررات من جهة، ومن حيث الحجم الساعي المخصص لإنجازها من جهة ثانية، ومن حيث المواد المختلفة المقررة من جهة ثالثة كفيل بتكوين وعي إسلامي رشيد يتعامل مع الإسلام كشأن حضاري فاعل يلهم من أجل البناء والنهضة والالتزام الرسالي. وفي مقابل هذا الثراء نجد أن التعليم النظامي المدني كان جافا وفقيرا بما يتعلق بتعليم الإسلام - كترية وثقافة وعلم وسلوك - باعتباره أهم مكون للشخصية الوطنية الذي أسهم تحصين المجتمع الجزائري من الذوبان في الحضارة الغربية من خلال الاستعمار الفرنسي طوال 132 سنة.

مكانة العلوم الإسلامية في التعليم الثانوي بعد أمرية 76 حتى سنة 2008

هناك مرحلتان مرت بهما مادة العلوم الإسلامية أو التربية الإسلامية، الأولى تمتد من سنة 1976 عقب الإصلاح التربوي والتنظيم الجديد له إلى غاية 1992 عقب الهيكلة الجديدة للتعليم الثانوي. وأما الثانية فتمتد من 1992 إلى بداية دخول برنامج إصلاح المنظومة التربوية سنة 2001 والتي استمرت عقدا كاملا بالتقريب.

المرحلة الأولى:

نصت أمرية 76 على التعليم الموحد وإلغاء الازدواجية في التعليم والذي قصد به نظام التعليم الأصلي، وإدماجه في نظام التربية العام الذي تشرف عليه وزارة التربية الوطنية، وبهذا الإجراء صارت مادة العلوم الإسلامية مهمشة إلى حد بعيد. يشهد لهذا التهميش ثلاثة أمور:

الأول: تخصيص ساعة واحدة لمادة التربية الإسلامية لكل من السنة الأولى والثانية على التوالي ولجميع الشعب، في حين لم تخصص ولا ساعة للنهائي وفي جميع الشعب أيضا إلا بعد سنة 1987 كما هو مبين في برنامج العلوم الإسلامية الصادر عن مديرية التعليم الثانوي سنة 1990، حيث تم استدراك الأمر، وصار بإمكان تلاميذ السنوات النهائية متابعة دروس في التربية الإسلامية ولحصة واحدة أسبوعيا، غير أن هذه المادة لا تدخل في امتحانات البكالوريا مما يهون من قيمتها في نفوس التلاميذ .

الثاني: المقررات الدراسية المخصصة للتربية الإسلامية عبارة عن مواضيع عامة هلامية لا تخدم التكوين الرصين والمنهجي في الثقافة والعلوم الإسلامية⁽²²⁾.

الثالث: ويتمثل في الأساتذة الذين يسند إليهم تدريسها فهم غير متخصصين في العلوم الإسلامية، فتارة تسند لأساتذة الاجتماعيات، وتارة لأساتذة الأدب العربي، وتارة لأساتذة الفلسفة... وهذا بالضرورة ما يجعل الأداء التعليمي للمادة في غاية الإهمال من الجميع، فتتعدم معه الأهداف المرجوة منها.

ويعود غياب المتخصصين في تدريس مادة العلوم الإسلامية إلى انعدام الجامعات الإسلامية في تلك الفترة، بحيث لم تتمكن الدولة الجزائرية من تخريج أساتذة في المادة إلا عند تدشين معهد أصول الدين بالعاصمة سنة 1982 وجامعة الأمير عبد القادر سنة 1984، ومن ثم بدأ توظيف الأساتذة المتخصصين أي مع نهاية عقد الثمانينيات.

إنشاء شعبة العلوم الإسلامية في المرحلة الثانوي:

رافق انفتاح الدولة على التكوين العالي في العلوم الإسلامية من خلال جامعة الأمير عبد القادر ومعهد أصول الدين في عقد الثمانينيات، التفكير في الإعداد المسبق في المرحلة الثانوية للتلاميذ الراغبين في الالتحاق بهذا التكوين فتم فتح تخصص العلوم الإسلامية في بعض الثانويات على مستوى الوطن كتجربة أولى. ولقد ورد في بيان الأهداف الخاصة لتكوين هذا التخصص ما يلي⁽²³⁾:

ا/تهيء الإطار المتوسط قصد سد حاجيات القطاعات الحيوية التالية:

- في المجال الديني: كمساعد الإمام أو إمام عند الضرورة
- في مجال العدالة: كأعوان القضاء والعدل وكتاب الضبط وموثق.
- في التعليم الأساسي: تكوين المعلم الكفاء الذي سيتولى تدريس مادة التربية الدينية

والخلقية

ب/ تهيء المترشحين لمتابعة الدراسات الإسلامية في كلية الشريعة.

لقد كانت هذه الشعبة عبارة عن شعبة العلوم تنضاف إليها مواد العلوم الإسلامية طوال السنوات الثلاث.

ولا يخفى على الجميع أن شعبة العلوم لا يوجه إليها إلا الطلبة الأكثر كفاءة وتحصيلاً، وتخصيص قسم من هؤلاء ليوجه نحو العلوم الإسلامية في تلك الفترة يعد مكسباً إيجابياً ثميناً، لأنه سيجعل الراغب في الالتحاق بالجامعات الإسلامية على قدر هام من الكفاءة التحصيلية التي تدفعه نحو التفوق.

ولما كان التفكير في إعداد التلاميذ بدءاً من المرحلة الثانوية في هذا التخصص، قدرت الهيئات المشرفة والموجهة أن يكون الحجم الساعي لشعبة العلوم الإسلامية ست ساعات أسبوعياً في السنتين الأولى والثانية وأربع ساعات في السنة النهائية⁽²⁴⁾.

وأما المواد المقررة فتتمحور حول التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والسيرة والتوحيد، وهي في الجمل تشمل تقريبا كل العلوم الإسلامية⁽²⁵⁾، وهذا من شأنه أن يهيء التلميذ عند التحاقه بهذا التخصص في الجامعات الإسلامية لكي يلججه بيسر ويجعله ممتلكا لمفاتيح التخصص بشكل فعال وتفتح أمامه الآفاق .

وعندما يحصل التلميذ على البكالوريا يمكن له الالتحاق بالجامعة الإسلامية بقسنطينة أو المعاهد المنتشرة في العاصمة وباتنة ووهران وأدرار كما يمكنه أيضا الالتحاق بتخصصات علمية مختلفة بما في ذلك الطب والهندسة والصيدلة... ومن ثم يتبين أن آفاق الدراسة الجامعية بالنسبة لهذه الشعبة واسعة جدا وتلك ميزة تفتقدها شعب أخرى. واستمر الحال على هذا النحو إلى سنة 1992 عندما تم إعادة النظر في تسميتها وإلحاقها بشعبة الآداب تحت مسمى "تخصص الآداب والعلوم الشرعية ومن ثم أعيد النظر في كيفية توجيه نحو هذه الشعبة.

المرحلة الثانية:

بعد سنة 1992 أعيد النظر في تخصص العلوم الإسلامية في إطار التنظيم الجديد للتوجيه نحو التعليم الثانوي حيث برزت الجذوع المشتركة المتمثلة في الآداب والعلوم والتكنولوجيا، وفي السنة الثانية يتم التخصص، فصارت شعبة العلوم الإسلامية يوجه إليها التلاميذ من الجذع المشترك آداب، بخلاف ما كان في السابق حيث سحبت من الأقسام العلمية وحولت إلى الأقسام الأدبية، وهذا في الحقيقة يمثل انتكاسة بالنظر إلى نوعية التلاميذ الموجهين إليها، فهم ليسوا بالمستوى نفسه في شعبة العلوم.

والانتكاسة الثانية أن شعبة العلوم الإسلامية تبدأ في التكون من السنة الثانية حيث يوجه لها التلاميذ من الجذع المشترك آداب، وفي السابق كان يشرع في تكوين الشعبة بداية من السنة الأولى، ومن ثم يصبح مجموع الحجم الساعي المخصص لتدريس المادة أقل مما كان عليه من قبل (10 ساعات بدل 14 ساعة طوال السنوات أسبوعيا).

وبعد هذا البيان للمسار الذي اتخذته مادة العلوم الإسلامية وشعبتها في المنظومة التربوية عقب الإصلاحات المترتبة عن أمرية 76، وبعد المراجعات الهيكلية والتنظيمية وعلى فترات متعددة حتى قبيل سنة 2000 يمكن القول أن هذه المادة كادت أن تعود للموقع الذي كانت فيه قبل أمرية 76 وفي التعليم النظامي التابع لوزارة التربية الوطنية وليس التعليم الأصلي، وهو موقع ما كان ينبغي أن يكون خصوصا وأن الدولة الجزائرية قد خرجت للتو من ظلام الاستعمار الذي كان أهم أهدافه القضاء على المكون الأول لهذا المجتمع ألا وهو الإسلام بالتجهيل والترهيب ...

العلوم الإسلامية بعد إصلاحات اللجنة الوطنية عقب سنة 2000:

لما شكلت اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية سنة 2000 بدت كثير من الأوساط وفي مستويات مختلفة تتوجس خيفة خصوصاً وأن صحبا إعلاميا صار يرافق عملها تأييداً ومعارضة. ولما حان وقت الشروع في الإصلاحات بصورة فعلية بدأ المحك الحقيقي لما قد يحدث لمادة العلوم الإسلامية خصوصاً مع الشائعات التي كانت تروج حول إلغائها أو استبدالها...
لقد حمل القرار الوزاري رقم 16/ 2005 في المادة 03 منه⁽²⁶⁾ :

يهيكل التعليم الثانوي العام والتكنولوجي في جذعين مشتركين في السنة الأولى :

- **الجذع المشترك آداب:** الذي يتفرغ إلى شعبتين في السنتين الثانية والثالثة :

• شعبة الآداب والفلسفة.

• شعبة اللغات الأجنبية.

- **الجذع المشترك علوم وتكنولوجيا:** الذي يتفرغ إلى أربع شعب في السنتين الثانية

والثالثة :

• شعبة الرياضيات .

• شعبة التسيير والاقتصاد.

• شعبة العلوم التجريبية.

• شعبة تقني رياضي التي تضمن أربع خيارات ممكنة : الهندسة الميكانيكية والكهربائية

والمدينة والطرائق.

وبهذا القرار جاء الإعلان عن إلغاء شعبة الآداب والعلوم الشرعية بعد أكثر من عقدين

من الزمن بحجج مختلفة لا ترقى إلى الموضوعية في شيء.

وتفاعل مع هذا الحدث المدوي جل فعاليات المجتمع أفراد ومؤسسات وجمعيات وأحزاب ،

بل ونظمت احتجاجات خصوصاً في الجامعات والمعاهد الإسلامية المعنية أكثر باستقبال هؤلاء ثم

بتأطيرهم كي يصيروا أساتذة لهذه المادة ..

ومن أبرزهم إطار كبير من إطارات التربية والتعليم وأحد مهندسي المدرسة الأساسية الدكتور

عبد القادر فوضيل حيث كتب عدداً من المقالات وبين بالبرهان والدليل الساطع من منطق خبرته

الطويلة وغيرته على مقومات الهوية ، أن هذا الإجراء لا علاقة له بالتطوير وإنما يهدف إلى التدمير ، ومما

قاله:

(إننا لنعجب أشد العجب من الموقف المريب الذي اتخذته وزارة التربية من شعبة العلوم

الشرعية بصفة خاصة ومن مادة التربية الإسلامية بصفة عامة، حين أقدمت على إلغاء التخصص الذي

كان موجودا، وتقليص الوعاء الزمني المقرر، وتهميش مادة التربية الإسلامية مقارنة بالمواد الأخرى، إن هذا الموقف المريب الذي ترجمته الإجراءات الأخيرة يشكل استخفافا برأي الأسرة التربوية وبشعور المواطنين ...

إن هذه الإجراءات تبين بوضوح أن القرار المتخذ بشأن التربية الإسلامية في عمومها لا يستند إلى أي منطق، ولا يعتمد أي مسوغ يقبله العقل، ويستوعبه العقلاء، إنه إجراء هدفه الأساسي تهميش هذه المادة في النظام التعليمي ..

لهذا يمكننا القول: إن الإقدام على مثل هذا الإجراء كبيرة من الكبائر التي ترتكب في حق أهم ثابت من ثوابت الأمة، وهي حق مادة أساسية من مواد التعليم التي لا يمكن التقليل من شأنها مهما كانت التعللات والضغوط التي تمارس داخل الوطن وخارجه ..⁽²⁷⁾

وقد اعتبر الدكتور فوضيل في ذات المقال أن هذا الإلغاء بمثابة استمرار للمؤامرة ونسف للمصالحة وليس سوى بداية، والتي بدأت بإلغاء التعليم الأصلي ثم إلغاء نظام التعليم الأساسي وما بينهما اللجان التي تشكلت تحت ذريعة تخفيف المناهج وكانت مادة التربية الإسلامية كبش الفداء الأول بحذف كثير من مقرراتها وما استتبع ذلك من حذر للآليات والأحداث التي لها صلة بالجهاد والمقاومة وبعض مناحي التعامل والعبادات والأخلاق والعقائد ..

وبعد اللغط الشديد والسخط الكبير الذي ساد مختلف الأوساط بشأن هذا الإلغاء ، أوعز رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة إلى الحكومة آنذاك بضرورة إعادة النظر في هذا القرار وإعطاء هذه المادة ما يتناسب مع حجمها ودورها زمانا ومضمونا ..

وقد أثمرت هذه الضغوط حولا وسطى اعتبرت مكسبا لا يستهان به ، ويتعلق الأمر بإلزاميتها على جميع الشعب وفي كل المستويات بحجم ساعتين ومضاعفة معاملها، والأكثر من ذلك إجبارية إدراجها ضمن المواد الممتحنة في شهادة البكالوريا وهذا الذي لم يكن قبل ..⁽²⁸⁾ وقد صدر ذلك في قرار برقم 382 ومؤرخ في 19 ماي 2007⁽²⁹⁾.

وبناء على ذلك تكيفت المقررات مع الوضع الجديد ، واستعادت المادة بعضا مما سرق منها وبرجحت في مختلف الأطوار مواد تتعلق بالقرآن، والحديث، والعقيدة، والفقه، والأصول والسير، والأخلاق والسلوك، والفكر والثقافة، والقيم الإعلامية والتواصلية، والأسرية والاجتماعية والمالية والاقتصادية ..⁽³⁰⁾ لقد أضحت شعبة العلوم الإسلامية بنمطها الأول والثاني في المرحلة الثانوية مكسبا هائلا خصوصا وأن ذلك يعد رافدا لتغذية الجامعات الإسلامية في الجزائر بالطلبة الحائزين على تكوين قاعدي يمكنهم من مزاوله الدراسة والبحث، فيسهموا في إثراء بناء الطاقات واستغلالها بصورة مثلى في حركة المجتمع الإيجابية. ولكن إلغاء هذا التخصص مع الإصلاحات الجديدة في بداية الألفية اعتبر بحق انتكاسة لمكانة العلوم الإسلامية وضربة موجعة لها، غير أن إدراجها في امتحان البكالوريا مع سائر المواد

وفي كل الشعب بداية من الموسم 2007/2008 أعاد الأمل في النفوس وأزال بعض التخوف، فلأول مرة بعد الاستقلال تصبح مادة العلوم الإسلامية يمتحن فيها التلميذ في البكالوريا وبمعامِل 02 .

و صار تلميذ المرحلة الثانوية في نظام الإصلاحات الجديدة يتلقى طوال السنوات الثلاثة حجما ساعيا يقدر ب 170 ساعة بالنسبة للشعب الأدبية و 140 بالنسبة لسائر الشعب - وهو حجم هائل لم يحدث من قبل أبدا إلا في شعبة التخصص الملغاة - يقضيه التلميذ مع أستاذ المادة في القسم، فكم هو الحمل ثَقِيل؟ وكم هي المسؤولية عظيمة؟. وعليه فإن القائم على شأنها يتوجب عليه استحضار هذا المعنى وهو يقوم بالواجب التعليمي، إذ أن مادة العلوم الإسلامية محتزمة من الجميع، والتعامل معها يتم من منطلق عقدي، لذلك يجب استغلال كل الفرص الممنوحة لتفعيلها في كل الاتجاهات وفي كل المستويات لتحقيق الرسالة الحضارية منها.

ويبقى الرجاء لا يخيب أبدا في أن تعود الشعبة الخاصة بالعلوم الإسلامية إلى الوجود يوما ما وذلك بالسعي من طرف الجامعات الإسلامية نحو ذلك وتأكيد حاجتها لها.

كما أن كل التلاميذ يبذلون سعادتهم وهم يقبلون على امتحان المادة في البكالوريا وغيرها لأنها ترفع من نسبة النجاح عندهم على عكس ما كان يتوجس البعض منه خيفة.

إن دخول العلوم الإسلامية الامتحانات الرسمية ساهم في التعلق بالمادة أكثر مما جعلها الأولى دائما في تحصيل المعدل بعد الرياضة البدنية، وهذا عنصر نجاح يقتضي التثمين.

ينبغي على الهيئات الوصية على مسار مادة العلوم الإسلامية أن تجري مراجعات فيما يرتبط بالمناهج لتثمينها بما يخدم العلم المنهجي والأصيل لها بعيدا عن الهلاميات والزبقيات.

المحور الثالث: التعليم الديني في مؤسسات التعليم العالي ومراكز تكوين الأئمة

أولا: مؤسسات التعليم العالي

تأخرت الجزائر كثيرا قياسا بنظيراتها في المغرب والمشرق في إنشاء الجامعات والكليات والمعاهد الجامعية المتخصصة في تدريس علوم الشريعة ، وأسباب التأخر بعضه له ارتباط بالظروف التاريخية المتعلقة بالاستعمار ..

وبعضها متعلق بصراع الهوية الذي كانت تشهده النخب النافذة في الجزائر والذي كانت الغلبة فيه في معظم المراحل للتيار الفرنكفوني التغريبي ، والذي فرض حصارا خانقا على التعليم الديني بالجزائر بمراحلته الجامعية وما قبلها ..

ولكن ضغط الواقع المتعلق بتدريس العلوم الإسلامية والتربية الإسلامية خصوصا في المرحلة الثانوية والذي تطلب وبإلحاح تكوين متخصصين في هذا المجال فرض على القائمين الرضوخ للأمر الواقع ، دون تجاهل وجود رغبة عند بعض الوطنيين النافذين في دواليب صناعة القرار

فكان سنة 1982 موعدا مع افتتاح أول نواة جامعية للعلوم الإسلامية والمتمثلة في معهد العلوم الإسلامية بالعاصمة ، وبعد عامين كان الفتح الأكبر والمتمثل في افتتاح جامعة بأكملها بقسنطينة عاصمة الشرق الجزائري باسم "جامعة الأمير عبد القادر" بحلتها وفخامتها وزخرفتها الإسلامية الرائعة والتي تعد تحفة جمالية عالمية بامتياز .

ثم توالى الخير بعدها بسنوات قليلة افتتاح معاهد تطور بعضها بعد ذلك إلى كليات في كل من وهران عاصمة الغرب الجزائري وباتنة عاصمة الثورة الجزائرية وحضنها الدافئ .

ثم توالى المكاسب بعد ما يزيد على عقدين في افتتاح عدد من الأقسام والمعاهد في عديد جامعات الجزائر بالشمال والجنوب وفيما يلي قائمة المراكز المتخصصة في تدريس العلوم الإسلامية عبر الجامعات الجزائرية مع التنبيه على تنوعها من جامعة إلى كلية ومعهد وقسم وشعبة ..

الجامعات

جامعة العلوم الإسلامية الأمير عبد القادر قسنطينة

الكليات

كلية أصول الدين بالخروبة . جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر

كلية العلوم الإسلامية جامعة الحاج لخضر باتنة

كلية الحضارة الإسلامية جامعة وهران السانية

المعاهد

معهد العلوم الإسلامية جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي

الأقسام

جامعة عمار ثليجي الأغواط

جامعة غرداية

جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

جامعة أحمد دراية أدرار

جامعة العقيد أكلي محند أولحاج بويرة

جامعة المسيلة

ثانيا: المعاهد الوطنية للتكوين المتخصص للأسلاك الخاصة بإدارة الشؤون الدينية والأوقاف

وهي معاهد متخصصة لتكوين الأئمة في مختلف الرتب (خطباء وأئمة صلوات ومعلمي قرآن ومؤذنين) .

ويمتد فيها التكوين من سنة إلى ثلاث سنوات حسب الصنف المراد تكوينه:
وتتنوع مواد التكوين في جميع أصول وفروع الشريعة مع التزام المرجعية الوطنية والمتمثلة في المذهب الأشعري في العقائد، والمذهب المالكي في الفقه .
كما تتكشف مفردات التكوين أو تحف تبعا للصنف المقصود بالتكوين .
03 أعلاه الإمام المدرس وهو المرشح ابتداء لخطبة الجمعة ، يتلقى تكوينا مكثفا يمتد إلى سنوات ، ويشترط فيه مؤهل علمي لا يقل على مستوى النهائي من التعليم الثانوي فضلا عن حفظ القرآن الكريم كاملا .
يليه الإمام المدرس وهو المرشح لإمامة الصلوات وتحف فيه الشروط قليلا ومواد التكوين مع حفظ القرآن الكريم كاملا .. وهكذا معلم القرآن والمؤذن والقيّم وهو المكلف بالقيام على شؤون المسجد والمعاهد المكلفة بهذا النوع من التكوين تتوزع عبر التراب الوطني، وهي:

1. دار الإمام بالجزائر العاصمة

2. المعهد الإسلامي سيدي عقبة بسكرة

3. معهد تكوين الأئمة تيزي وزو

4. المعهد الإسلامي بغليزان

5. المعهد الإسلامي زانة البيضاء باتنة

6. المعهد الإسلامي تلاغمة بميلة

7. المعهد الإسلامي غليزان

8. المعهد الإسلامي سعيدة

9. المعهد الإسلامي تلمسان

10. المعهد الإسلامي تمنراست

المحور الرابع: آفاق التعليم الديني في الجزائر

إن الوقوف على نص الأمرية الرئاسية المنظمة للتربية والتكوين يمكن أن ترسم لنا ملامح الآفاق التي نتطلع إليها لتطوير منظومة التعليم الديني بالجزائر ، ونصها: (وهكذا يبدو التفسير واضحا لاختيارات المنظومة التربوية الجزائرية التي تحدت على أنها جهاز وطني أصيل ، ديمقراطي وثوراني في اتجاهاته، عصري وعلمي في مضامينه وطرائقه) .

فهذا النص حدد ثلاثة أبعاد لأي تطوير وتحديد:

1. البعد الوطني وما يرمز إليه .

2. البعد الديمقراطي وما يتضمنه .

3. البعد العصري والعلمي وما يستلزمه ويتصل به في المجال التكنولوجي .

فالبعد الوطني: يختزله الشعار الذي رفعه الوطنيون الغيرون في كل مرحلة من مراحل إصلاح

التعليم (من أجل منظومة تربوية عربية اللسان إسلامية الروح جزائرية المنهج) .

والبعد الديمقراطي: والمتعلق بحق التعليم المجاني للجميع وإلزاميته في المراحل الأولى مع تكافؤ

الفرص .

والبعد العصري والعلمي: وهو التفتح على البيئة المتطورة والتجارب الناجحة في المناهج

والأساليب والمضامين مع الاحتفاظ بالخصوصية التي تحفظ الأجيال من الانحرافات الفكرية والسلوكية

والعقائدية .

ومن هذه الأبعاد والمنطلقات فإن ما يتطلبه التعليم الديني من تطوير وتحديد يستلزم ما يأتي:

1. إعطاء مادة التربية الإسلامية في المراحل القاعدية المكانة التي تليق بها حتى تكون بمثابة

الحصن الحصين من كل انحراف أو جنوح أو تطرف ، وتكون دافعة إلى البذل والإنتاج والابتكار، وتعمق

الشعور بالانتماء للوطن والأئمة ضرورة الدفاع عن القيم والمبادئ، وذلك لا يكون إلا بحسن انتقاء

المضامين الخادمة لهذه الأهداف المذكورة بعيدا عن التجاذبات الأيديولوجية ، كما ينبغي رفع منسوبها في

التوقيت وكذا معاملها في الامتحانات مع المحافظة على إلزاميتها في كل الامتحانات الوطنية الرسمية .

2. الاهتمام الجيد بلجان الإصلاح التربوي وتزويدها بكفاءات تربوية ومهنية متخصصة في مجال

المناهج والمعارف الدينية وخبراء في مجال علم النفس والاجتماع حتى توضع المناهج والمعارف التي تتناسب

مع المراحل العمرية والحاجات النفسية وما تتطلبه مرحلة التكليف الشرعي .

3. فسح المجال عبر مناصب شغل كافية للمتخصصين في العلوم الإسلامية لتغطية تدريس هذه

المادة في جميع مراحل التعليم دون استثناء .

4. ورغم المكاسب المحققة في السنوات الأخيرة بتوسيع دائرة انتشار العلوم الإسلامية في عدد

من الجامعات إلا أن ذلك لا يزال دون مستوى الآمال، خصوصا إذا ارتبطت هذه النقطة بسابقتها .

5. والشئ نفسه فيما يتعلق بمعاهد تكوين الأئمة التي لا تتناسب في عدد منتسبيها مع

الحاجات الضخمة لآلاف المساجد المنتشرة عبر الوطن ، فالمطلوب إنشاء مزيد من المعاهد .

- 1 - دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، الديباجة ، ص 2 .
- 2 - نفسه ، ص 3 .
- 3 - ينظر : أصول التربية والتعليم ، تركي رايح ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط2 ، الجزائر ، 1990 ، ص 186 .
- 4 - التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية ، مصباح عامر ، دار الأمة ، الجزائر ، 2003 ، ص 110 .
- 5 - تعلم لتكن ، ت إدجار فور وآخرون ، ت : رجمة حنفي بن عيسى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1970 ، ص 110 .
- 6 - نظرات تربوية في المنهج الإصلاحية الباديسي : د لخضر بن العربي عواريب ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 1 ديسمبر 2010 جامعة قاصدي مرباح - ورقلة الجزائر ، ص 230
- 7 - النشرة الرسمية للتربية الوطنية ، عدد خاص فيفري 2008م ، ص 11 .
- 8 - نفسه ، 11 .
- 9 - نفسه ، ص 12
- 10 - "الخطاب الديني: أية خصائص ورهانات" الأستاذ الجيلالي المستاري باحث دائم بالمركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ، وهران ، الجزائر ، من أعمال الملتقى الوطني الأول (الخطاب الديني في المنظومة التربوية -الواقع والآفاق-) نوفمبر 2012 جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي الجزائر .
- 11 - بحث "الجزائر في التاريخ.. نظرة على الأوضاع التعليمية السائدة في كل عصر" الأستاذ عبد الوووف جناوي <http://zedni.com> 22 ماي 2015
- 12 - "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني" أ. العيد مسعود ، مجلة سيرتا العدد: 3 قسنطينة ماي 1980م ص: 58 . نقلا عن بحث "التربية والتعليم في الجزائر بعد الاستقلال" www.onefd.edu.dz/infpe/cours
- 13 - "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني" أ. العيد مسعود ، مرجع سابق ، ص: 60 .
- 14 - دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840) ط1 ، دار البعث ، الجزائر 1987 ، ص: 63 .
- 15 - مستفاد من بحث "التربية والتعليم في الجزائر بعد الاستقلال" www.onefd.edu.dz/infpe/cours
- 16 - مستفاد من بحث "التربية والتعليم في الجزائر بعد الاستقلال" www.onefd.edu.dz/infpe/cours
- 17 - بحث "الجزائر في التاريخ.. نظرة على الأوضاع التعليمية السائدة في كل عصر" الأستاذ عبد الوووف جناوي <http://zedni.com> 22 ماي 2015
- 18 - النظام التربوي في الجزائر ، المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية ط الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية د ت ص 32 - باختصار وتصرف يسير -
- 19 - المادة 2 ، الجريدة الرسمية 1976 ع 33 ص 534
- 20 - ولد سنة 1913 بقرية حيدوسة ببنية العابد نواحي اريس بباتنة ، تتلمذ على ابن باديس وشارك في أنشطة الجمعية المتنوعة ، وانضم للثورة حيث استقر به المقام في القاهرة ثم تونس . وبعد الاستقلال أسس المعهد الإسلامي بباتنة وكان النواة الأولى لنظام التعليم الأصلي الذي صدر قرار بإلغائه سنة 1976 . اجتهد الشيخ وعمل على تأسيس المعهد الإسلامي لتكوين الأئمة في "سيدي عقبة" بمدينة بسكرة سنة 1981 ، وقد تحقق له ذلك ، وعين أول مدير له . وله نشاطات دينية واجتماعية مختلفة . توفي يوم 19/03/2009 بعد صراع مع المرض . جريدة البصائر ع 346 ص 3
- 21 - أرشيف ثانوية الحكيم سعدان بمدينة بسكرة والذي كان سابقا معهدا للتعليم الأصلي.
- 22 - برنامج مادة التربية الإسلامية / الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية 1990 ص 93 - 96
- 23 - برنامج العلوم الإسلامية ، شعبة العلوم الإسلامية ، مديرية التعليم الثانوي 1990 ص 7
- 24 - المرجع نفسه ص 5
- 25 - المرجع نفسه ص 5

- 26 - إصلاح المنظومة التربوية النصوص التنظيمية، مديرية التقويم والتوجيه والاتصال ، المديرية الفرعية للتوثيق، مكتب النشر 2009 ط الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ص 97
- 27 - انظر المدرسة في الجزائر د. عبد القادر فوضيل تقديم: أ ، عبد الحميد مهري ، دار جسور الجزائر العاصمة ، الطبعة 1 - 2009/1430 ، ص: 271 وما بعدها ..
- 28 - انظر المدرسة في الجزائر 299 وما بعدها ..
- 29 - إصلاح المنظومة التربوية النصوص التنظيمية ص 126 وما بعدها
- 30 - ينظر في تفصيل الوحدات والمواد وتوزيعها عبر جميع السنوات من التعليم الثانوي: "مناهج السنة الأولى من التعليم الثانوي العام" ، مديرية التعليم الثانوي العام مارس 2005 ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية 2006/2005 ص 55 وما بعدها .
- و"الوثائق المرافقة لمناهج السنة الثانية ثانوي" ، جميع الشعب، مديرية التعليم الثانوي العام، ص 64 - 65 .
- و"مناهج العلوم الإسلامية" ، السنة الثالثة ، جميع الشعب، مديرية التعليم الثانوي العام، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ط جوان 2011 ص 64 .
- وثيقة تخفيف المناهج ، مديرية التعليم الثانوي العام ، جميع الشعب، 2010 ص 58 .